

تراسل الحواس في ضوء القرآن الكريم، وظائف، وجماليات^١

حميد عباس زاده^٢

الدكتور محمد خاقاني أصفهاني^٣

الملخص:

منذ باكورة الدراسات الدائرة في فلك الخطاب القرآني، استقطبت الصورة الفنية اهتمامات الباحثين. وكلما تقدّم البحث في أرجاء هذا الخطاب، لاحت لهم إشرافات من جماله الأخاذ، تاركة جماهير المتلقين في نشوة لا تكاد تنتهي، حتى تتناهم نشوة أخرى، وتترأى لهم سبحات من وجهه الوضاء. تراسل الحواس أحد أبرز الفنون التصويرية؛ إذ يتعاقد أكثر من حاسة واحدة على إخراج الفكرة إلى صورة موحية.

تناولت هذه المقالة بأسلوب وصفي - تحليلي، أنماط تراسل الحواس المستخلصة من "٢٦٠" آية فيها أفعال الحواس، بعد تعريف هذا الفن التعبيري وتأصيله في التراث. كما أنّ البحث عرف سمات الحواس الخمس ودورها في المعرفة. وانتهى البحث إلى إلقاء الضوء على جماليات التراسل في الشواهد القرآنية. وتمخض البحث عن أنّ القرآن اعتمد التراسل ليوفي المعنى حقه، فثمة تناغم تام بين الحواس المساهمة في التصوير، فعلى سبيل المثال استدعى القرآن اللمس والذوق في مشاهد العذاب، ليحسّد حجم المعاناة. والصورة التراسلية تتميز بجماليات، أهمّ بواعثها: الغرابة، والطفرة، وتعدد المستويات الدلالية، وتعميق التأثير.

كلمات مفتاحية: القرآن، تراسل الحواس، الحواس الخمس، الجمالية.

^١ . هذه المقالة مستلّة من رسالة الدكتوراه بعنوان "جمالية الانزياح البياني في القرآن الكريم، مقارنة شكلاية"، وهي لم تناقش بعد.

^٢ . طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان، إيران. HamidAbbaszadeh@hotmail.com

^٣ . أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان، إيران. (الكاتب المسؤول) mohammadkhaqani@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٤/٠٢/١٣٩٣هـ.ش = ٠٤/٠٥/٢٠١٤م تاريخ القبول: ٠٩/٠٩/١٣٩٤هـ.ش = ٣٠/١١/٢٠١٥م

مقدمة:

إن حواسنا الخمس تمثل قنوات معرفية نطلّ من خلالها على الكون. ومن هذا المنطلق تبنّى القرآن لغة حسية يعبر بها عن التعاليم السماوية السامية كالتوحيد والمعاد وغيرها لتلائم التعابير جمهور المتلقين. وحسبنا نظرة عابرة في الآيات التالية لنعرف كيف وظّف القرآن التصوير الحسي للمفاهيم المجردة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾^١. وهذه الآيات غيض من فيض الآيات الحسية تلفت الأنظار إلى خالق الكون وقضية التوحيد.

نظراً لأهمية هذه القنوات المعرفية، أناط الله بها المسؤولية في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^٢. فالآية تنصّ على أهمية الحواس في المعرفة، فلا ينبغي للمرء اتباع أي أمر من دون المعرفة. وفي موطن آخر بين الله أن الفقير لهذه الأجهزة المعرفية لا يهتدي: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^٣. أحياناً تتعاون الحواس في المعرفة فمثلاً قد يحلّ السمع محلّ البصر كما جاء في حوار بين أهل النار وخزنتها عندما يسألونهم عن النذر وعمّا سلكهم في العذاب، فيردّ أهل النار: ﴿... بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^٤. نرى أن إجابتهم تثبت أهمية السمع في الهداية. وكذلك الحال في التراسل بين الحواس الأخرى.

أما في ما يخصّ خلفية البحث فيجب القول إنه حسب تحريات المقلين، تخلو اللغة الإنجليزية من بحوث متعلّقة بالتراسل القرآني. أما في الدراسات العربية المعاصرة فهناك مقالة واحدة بعنوان "بلاغة تراسل الحواس" لـ "أحمد فتحي رمضان" من قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الموصل العراقية، طُبعت في مجلة جامعة تكريت الإنسانية سنة ٢٠٠٧م. إلا أن الطابع النظري يطغى عليها. وفي الدراسات الفارسية تناول الدكتور سيد حسين سيدي التراسل في القرآن بشيء من الإيجاز ضمن مقال معنون بـ "مؤلفه های تصویر هنری در قرآن" سنة ٢٠٠٨م. لكن الباحثين في هاتين المقاتين، لم ينجحوا في رسم حدود فاصلة بين التراسل وتقنيات تصويرية أخرى؛ حيث اعتبرا شواهد التجسيد من

١ . سورة الغاشية، ١٧-١٩.

٢ . سورة الإسراء، ٣٦.

٣ . سورة البقرة، ١٨.

٤ . سورة الملك، ٨-١٠.

التراسل.

وقد اقتضت أسئلة البحث البحث على ما يعطي القارئ فكرة عن الموضوع حيث تركّزت على ما يلي: ماذا يعني تراسل الحواس؟ ما جذوره في التراث؟ ما أنماطه في القرآن؟ ولماذا اعتمد القرآن التراسل؟

تراسل الحواس؛ المصطلح والمفهوم

دلالياً تفيد مادة الحسّ ومشتقاتها، الإدراك والوعي والمعرفة، فمن ذلك قولهم: أحسستُ من فلان أمراً: أي رأيتُ، وعلى الرؤية تفسير [قوله عزّ وجلّ]: فلما أحسّ عيسى منهم الكفر [آل عمران: ٥٢] أي رأى^١، والإحساسُ الوجودُ، تقول في الكلام: هل أحسست منهم من أحد؟، وقال الزجاج معنى "أحسّ" علم و وجد في اللغة، قال يقال: ... هل أحسست الخير؟ أي هل عرفته، وعلمته^٢ كما جاء في القرآن على لسان يعقوب حينما أمر أبناءه بالتحري عن يوسف وأخيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ...﴾^٣ فالتحسس هو تطلب المعرفة وبذل الجهد بحثاً عن الضالة.

أما في الاصطلاح فإن تراسل الحواس^٤ هو صورة أدبية. وهي «وصف مدركات كلّ حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطي المسموعات ألواناً، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصيح المرئيات عاطرة»^٥. بتعبير آخر يعني التراسل تبادل الحواس أو حلول إحداها محل الأخرى على مساحة نشاط الحواس الخمس. وعرف البعض التراسل أو "الحس المتزامن" أو "تبادل الحواس"، بأنه «تعبير يدل على المدرك الحسي أو يصف المدرك الحسي الخاص بحاسة معينة بلغة حاسة أخرى، مثل إدراك الصوت أو وصفه بكونه مخملياً أو دافئاً أو ثقيلاً أو حلواً، وكأن يوصف دويّ النفير بأنه قمرزي»^٦ هذه الصورة وليدة التزاوج بين حاستين كالسمع والذوق، نحو: صوت حلو، أو نغمة عذبة. فالصوت والنغمة من المسموعات بينما الحلو والعذبة من المدذوقات.

ذكر البعض مقابلاً آخر له هو "Correspondance"، نقلاً عن تشارلز بودلير^٧ (ت ١٨٦٧م)

١ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ١، ص ٣٨٢.

٢ . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٣، ص ٢٦٣ .

٣ . سورة يوسف، ٨٧.

4. synesthesia

٥ . محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٣٩٥.

٦ . مجدي وهبة والمهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٤٨.

7. Charles Baudelaire

أحد رواد الرمزيين الذي اختار هذه الكلمة عنواناً لإحدى أشهر قصائده^١. إن التراسل وليد التضافر بين الحواس المختلفة؛ ويوفّر للمتلقّي وعياً شاملاً عميقاً بفضل تتابع الصور، وينقل الصورة من أغوار الحس إلى سمو العقل، ومن ثم إعادة التعبير في صورة فنية، ولكنها غير خارجة عن الحواس إلا في الوظيفة، لأنّ «الانفعالات التي تعكسها الحواس قد تتشابه من حيث وقعها النفسي، فقد يترك الصوت أثراً شبيهاً بذلك، الذي يتركه اللون، أو تخلّفه الرائحة»^٢. ومن هنا يلجع التراسل صفة حاسة على أخرى^٣.

التراسل في التراث

نجد أقدم نماذج التراسل في الأديب اليوناني والمصري، حيث نمرّ بها في أشعار كلّ من "هوميروس"، و"هوراس"، وغيرهما. في الأدب المصري القديم هناك "دوبيت" هيروغليفيّ يُعدّ من أقدم نماذج التراسل؛ إذ يعود إلى ما قبل حوالي ١٣٠٠ إلى ١١٠٠ سنة قبل الميلاد، وجاء فيه: «إنّ نغمة صوتك حلوا/ كمذاق حمرة معتقة قائمة»^٤. فالصوت والنغمة أعتبيرا حلويّن عذبيّن، بينما الحلوة والعذوبة من المذوقات. تفيد المصادر بأنّ أرسطو حاز قصب السبق في تناول قضية الحواس ودورها في التعبير؛ إذ تحدّث عمّا سمّاه بـ "الحسّ المشترك"^٥، معتبراً إياه عامل "وحدة المعرفة الحسيّة"^٦ وهذا الحسّ «يُميّز المحسوسات المتعلقة بمختلف الأجناس كالأبيض والحلو، ويربط بينها، وهكذا تشكّل أساس وحدة المعرفة الحسيّة»^٧. يرى أرسطو أن الحس المشترك لا يحظى بحاسة مستقلة وجارحة مستقلة، بل الحواس المختلفة تدرك محسوسات بعضها إدراكاً عَرَضياً، وحينما تدرك الحواس المختلفة أمراً واحداً يحصل

^١ . السيوفي، تراسل الحواس Correspondence ، ج ٦، ص ٢٤٣. http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=2170&m=1

(٢٠١٣/٧/٢٥)

^٢ . محمدفتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص ٢٥١.

^٣ . صالح أبوإصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، ص ٥٣.

^٤ . غلامحسين معتمدي، وحدات حواس وأفرينش شعر(١)،

www.doctormotamedi.com/fa/newsdetail/10336/ (٢٠١٣/٧/٢)

^٥ . communis sensus

^٦ . Aristotle, *The Complete Works of Aristotle*, p.415a14- 427a

^٧ . Ibid, p.424a14-425b5

حس واحد عن جميعها^١. في القرن التاسع عشر الميلادي عرّف الشاعر الرمزي "تشارل بودلير" هذا الفنّ البلاغيّ واستخدم التراسل في أعماله الشعريّة استخداماً واعياً هادفاً. لقد سعى بودلير في ديوانه الشعريّ المعنون بـ "أزهار الشرّ" وراء استخلاص الجمال من القبح، وهكذا حاول تأسيس مبادئ جماليّة جديدة، وأطلق بودلير على التراسل "أغنية تحويل الفكر والحس"؛ لأنّ هذا التزاوج يتجلّى له في الموسيقى: «...العطور والألوان والأصوات / تتجاوب في وحدة عميقة، / ثمة عطر غض كجسد الأطفال / عذب كنغم المزمار / أحضر كالمراعي»^٢.

التراسل في التراث الإسلامي

رغم جهود الباحثين في حقل الدراسات القرآنية، إلّا أنّ بعض الأنماط والألوان قد اختفت عن أنظارهم، ومنها "تراسل الحواس" أو "تجاوب الحواس" أو "تبادل الحواس". لذا تأخّر الانتباه إليه كفنّ أدبيّ رفيع، وآليّة تعبير، ورغم وفرة شواهد في الشعر الجاهليّ وغيره، ورغم حضوره في القرآن؛ ذلك أنّنا لا نرى إشارة من الباحثين إلى التراسل، قبل نهاية القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة، إذ تحدّث عبداللطيف البغداديّ (ت ٥٥٧ هـ) عن الحواسّ الخمس قائلاً: «كقولهم: صوت طويل وقصير، وأصله في السطوح المبصرة، وكقولهم: صوت طيّب ولذيد ويشع وكرية، وأصله لحاسة الذوق، وكقولهم: صوت خشن ورخيم و..، وأصل هذا كّلّه لحاسة اللمس..، ويقال: كلام حلو، وعذب، ونغمة كذلك»^٣. فالبغداديّ سبق غيره إلى التراسل؛ إلّا أنّه لم يورد شواهد شعريّة. واستوقفت نماذج التراسل قبل هذه الفترة، القدامى، وقد انبهروا بجمالها دونما إشارة إليه. ومنهم أبو بكر محمد بن داود بن عليّ بن خلف الأصفهانيّ، المعروف بـ "الظاهرّيّ الأصبهانيّ" (ت ٢٩٦ أو ٢٩٧ هـ)، حيث يشير في كتابه المسمّى بـ "الزهرة" إلى أبيات عدّة، مبدياً إعجابه ببلاغتها:

إذا غفلوا عنّا نطقنا بأعينٍ مراضٍ وإنّ خفنا نظرتنا إلى الأرض
شكّا بعضنا لما التقينا تسترّاً بأبصارنا ما في النفوس إلى بعضٍ

فقد أضفى على العيون، صفة النطق وهي من وظيفة اللسان. يلتقي التراسل بالاستعارة المكنية في قوله: "نطقنا بأعينٍ مراضٍ" فالعيون تنطق وهي مريضة. ولا ينتهي الأمر عند هذا؛ بل يتواصل التراسل

^١ . Ibid, p.424a14-425b5

^٢ . بديع حقي، "بودلير وأزهار الشرّ"، مجلة الموقف الأدبي، ص ٣٥.

^٣ . عبداللطيف البغدادي، مقالتان في الحواس، ص ٨٧.

^٤ . أبو بكر محمد بن داود الأصبهانيّ، الزهرة، ج ١، ص ١٤٨.

في البيت التالي حيث يبتون شكواهم بالعيون. في القرن الرابع الهجري، ألف السري بن أحمد الرفاء (ت ٣٦٢ هـ) رسالة باسم "المحبّ والمحجوب والمشموم والمشروب"، جمع فيها الأشعار الدائرة في فلك إحدى الحواس؛ وفيها نماذج للتراسل. كذلك "ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا" لشهاب الدين محمود الخفاجي (ت ٩٧٧ هـ) يضمّ شواهد تراسلية؛ إلا أن الكتاين يخلوان من إشارة إلى التراسل كمفهوم ومصطلح.

أتضح أن التراسل لم يستقلّ بتصريح من جانب البلاغيين والنقاد؛ رغم حضوره في الأدب. وجلّ ما في الأمر أن القدامى قاربوا مفهوم التراسل دون تأطيره وتسميته باسم خاص أو تتبع تأثيراته البلاغية.

أنماط التراسل

يُصنّف التراسل من حيثيات مختلفة، تارة باعتبار عدد الحواس المساهمة فيه، وتارة باعتبار بنيته التركيبية. ومن حيث عدد الحواس ينقسم إلى قسمين: عمودي (جليّ) ^١، وأفقّي (خفيّ) ^٢. التراسل في مستواه الأوّل يتحقّق بتعاقد حاستين أو أكثر في عملية التلقّي والمعرفة. وفي مستواه الثاني يُعدّ نتاج التزاوج الحاصل بين عالم المادّة وعالم المعنى أو العالم المحسوس وماوراء الحسّ ^٣. في هذا النوع تضيف الصفات الحسيّة كـ المذاق على الأجسام و الأفعال وتشمل عملية الإضفاء الأمور الانتراعية والفوق حسيّة. بتعبير آخر لا ينحصر التراسل دوماً في حدود تعالق أو تزاوج حاستين ظاهريتين فحسب؛ بل تشمل الحواس الداخلية أو الباطنية، كالصبغة المضافة إلى الله في قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ^٤ وأيضاً كـ "إذاقة الرحمة": ﴿وَإِذَا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ^٥. إنّ القسم العمودي من التراسل لأنّه يتم بتعاقد حسّين أو أكثر، أما القسم الثاني أي الأفقي، فليس من التراسل المصطلح في شيء؛ لأنّ التراسل الأفقي يقوم على حاسة واحدة فيناقض مفهوم التراسل القائم على المشاركة، ونرى ذلك واضحاً في الشواهد القرآنية

^١ . Horizontale Correspondance.

^٢ . Verticale Correspondance.

^٣ . السيوفي، ج ٦، ص ٢٤٣. السيوفي، تراسل الحواس Correspondance ، ج ٦، ص ٢٤٣.

[http://www.arab-](http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=2170&m=1)

[ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=2170&m=1](http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=2170&m=1)

(٢٠١٣/٧/٢٥)

^٤ . سورة البقرة، ١٣٨.

^٥ . سورة الروم، ٣٦.

المذكورة، والأصح إدراج القسم الثاني ضمن "التجسيد". أما التراسل من حيث البنية اللفظية، فيظهر في الأشكال التالية:

(أ) تركيب وصفي: نحو قول ليين، وصوت عذب، ورنين أزرق، ونقد لاذع، جواب مُرّ، وما إلى ذلك من التراكم الوصفية.

(ب) في سياق الجملة: نحو قوله تعالى: فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^١.

طبيعة الحواس الخمس وسماتها

نظراً إلى أهمية الحواس الخمس في المعرفة الحسية، وتمهيداً لفهم نماذج التراسل في القرآن نعطي القارئ فكرة عن الحواس.

أولاً. حاسة اللمس: تفيد مادة "اللمس" الطلب والاستفهام والعلم، ومن ذلك قولهم لمس يعني طلب شيئاً^٢. واللمس لغة طبيعية تلقائية، والقناة المعرفية — الحسية الأولى للإنسان؛ حيث إنّ حواسه الأخرى تتولد بما يطرأ على حاسة اللمس من تبدل أو توسع. إلى هذا أشار ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) لما ذهب إلى أولية اللمس، استناداً إلى أنها حاسة تتبعها قوى كثيرة^٣. هذه الحاسة تتجاوز حدودها نتيجة لعلاقتها بسائر الحواس، كقولنا: عطر ناعم، وصوت رقيق، هنا تلتقي النعومة بالرقّة أي اللمس بالشّم. وجاء في القرآن بشأن كلام المنافقين: ﴿...فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ...﴾^٤. إنّ الحدة المرتبطة باللمس، تنتهي في توسعاتها إلى حاسة الذوق والبصر؛ لذلك وصفوا كلاً من السيف والمذاق واللسان والنظر بالحدة. هذه أهم ميزات اللمس:

(أ) سعة الانتشار: إنّ حاسة اللمس تمتدّ على أرجاء الجسم، وليست وقفاً على عضو دون عضو كحاسة الشم أو الذوق؛ وكلّ جوارح الإنسان تخوض تجربة حسية لمسية، باستشعار مثيرات لمسية.

(ب) ذاتيتها أو فردانيتها: تختلف تجاربنا اللمسية من فرد إلى آخر كما وكيفا.

(ج) كثافتها: تعرّفنا حاسة اللمس على أصناف كثيرة، وهي الأطوال والأشكال، والحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والصلابة والليونة. ولهذا اعتبرها "إخوان الصفا" أكثر من سائر الحواس^٥.

^١ . سورة النحل، ١١٢.

^٢ . محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج٦، صص ٢٠٩-٢١٠.

^٣ . أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، الشفاء، صص ٧٥-٧٦.

^٤ . سورة الأحزاب، ١٩.

^٥ . إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلق الوفاء، ج٣، ص ١٢٣.

ثانياً. حاسة الشم: تفيد مادة الشم الإدراك والوعي لقولهم: شمّ: إذا اختبر،... وشامتُ فلاناً إذا قاربته وتعرّفتَ ما عنده بالاختبار والكشف^١. يتمّ الشمّ إثر استنشاق الروائح التي تثير خلايا الأنف العصبية. هذه الحاسة تحركّ فينا مشاعر إيجابية وسلبية، من طمأنينة وانتعاش، ونفور وانزعاج. تفيد المصادر أنّ الرائحة كانت في قدم الزمان تقوم مقام المنارات وإشارات السير؛ إذ كان العرب يأمرّون عبيدهم بإيقاد النار بالطيب مستعيزين بها عن نار القرى في الليالي المطيرة^٢، حينئذ كان السراة يشمون رائحتها فيهدون إليهم^٣. تتميز حاسة الشمّ بسمات أهمّها كالتالي:

(أ) التعددية: نريد بها أمرين الأول: أنّها تملأ رجباً من الفضاء، وتعطي عملية الاتصال استمراراً، وتضمن لها الديمومة. والثاني: أنّها تقدر أنّ تؤثر في العناصر المجتمعة في موقف واحد بصورة متزامنة؛ وإن انطلقت من منطلق واحد. فعلى حسب الآية: ﴿حَتَامَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^٤ يحثّ القرآن المسلمين على التنافس في حيازة المسك المختم الذي يستثير همم المتنافسين.

(ب) الحيوية: تبدو حاسة الشمّ متحركة وذات حيوية ملحوظة؛ لأنّ الرائحة تصدر من مصدر، وتساور المتلقّي، بحيث لا يمكنه الهروب منها، أو البقاء بمعزل عنها. فالرائحة تشبه قطع السحاب المتناثرة في السماء. كذلك حاسة الشمّ تسير ببطء ولها ديبب، فإذا بها تغطي مساحة شاسعة.

(ج) الشائبة: عملية الشمّ ليست أحادية الاتجاه، لتبدأ العملية من مصدر الرائحة وتنتهي إلى المتلقّي؛ بل الفاعلية في هذه العملية ثنائية، تتوزع بين الرائحة والمتلقّي. تتبين هذه الشائبة في الأمثلة: (١) تفوح رائحة. (٢) أشمّ رائحة ذكية أو تننته. (٣) له رائحة طيبة. (٤) يا لها من رائحة. إنّ المتكلم انتبه للرائحة واستشعرها في الجملتين الأولى والثانية، بينما الرائحة هي التي نبّهت المتكلم وأثارتها في الأخيرتين.

(هـ) الدفع والتحويل: تدفع حاسة الشمّ المتلقّي إلى الحركة بحيث ينطلق نحو الأفق البعيد. وهذه الحركة، تنبئنا بعمق الحاسة وقوتها اللذين يدفعان المتلقّي إلى الأمام. لَمَّا أَلْفِيَ الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبَ تَجَلَّتْ قُدْرَةُ الرَّائِحَةِ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالدَّفْعِ فَارْتَدَّ بِصِرَافٍ^٥.

١ . محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج١٢، صص ٢٣٥-٢٣٦ .

٢ . أحمد بن يوسف التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ص ٣٥٣.

٣ . صلاح الدين خليل أيبك الصفدي، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ج١، ص ٣٧٩.

٤ . سورة المطففين، ٢٦.

٥ . وفقاً لما جاء في سورة يوسف، ٩٦.

ثالثاً. حاسة الذوق: الذوق لغةً، هو الاختبار والتجربة. واصطلاحاً يعني الذوق في الأدب والفنّ «حاسة معنويّة يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة أو الفكر. ويقال: هو حسن الذوق للشعر: فهامة له، خبير بنقده»^١ وبهذا يمثل الذوق أداة تفاعل وتواصل. إنّ عمليّة تذوّق الطعوم، تتمّ إثر عمليّة لمس حسّية، تقوم بها براعم الذوق المنتشرة على سطح اللسان. يدرك الإنسان الأذواق المختلفة عبر عملية اللمس في الفم، نتيجة لذلك يمرّ بوحي عميق وتجربة فردية، كما يقول الشاعر:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُّْرِضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالاً^٢

لهذه الحاسة ميزات، أبرزها كالاتي:

أ. الاستنفار: إنّ حاسة الذوق تستنفر جميع العناصر المساهمة في التذوق كالزمان (السنة، الشهر،...) والمكان (البلاد، المدينة،...) وغيرهما وتستعرضها كلّها للمتلقّي وتعرّفها له. هكذا تتحوّل عمليّة الذوق إلى مسرح لظهور الأشخاص والزمان والمكان: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا حُسْرًا﴾^٣. فالتعبير القرآني "ذاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا" يستحضر الزمان والمكان والفاعل والأسباب الكامنة وراء مختلف الأحداث وما يترتّب عليها من نتائج في هذا المشهد.

ب. التسلسل: سرعان ما تتحوّل عملية الذوق إلى عمليّة حسّية أخرى. تأخذ أجزاء هذه الحاسة ترتيبها النهائي بعد عمليّة التفكيك التي تعرّفنا على عناصر الزمان والمكان وما إلى ذلك.

ج. شدّة التأثير: أهمّ ميزات حاسة الذوق شدّة تأثيرها وعمقها. فكميّة قليلة من الفلفل الحريف تسبّب انفعالاً شديداً عميقاً. بهذا يتبيّن سرّ استخدامها في بعض الآيات التي تحدّثنا عن أقلّ كمّيّة ممكنة من العذاب مثلاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^٤ عندما يذوق الكفار العذاب تنضج جلودهم لشدّة تأثيره. في صورة أخرى يظهر الكفار في مشهد مروّع لشدّة تأثير العذاب، يقول

١ . إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣١٨.

٢ . عبدالرحمن اليرفوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٣، ص ٣٤٤.

٣ . سورة الطلاق، ٨ و ٩.

٤ . سورة النساء، ٥٦.

تعالى: ﴿...وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهل يشوي الوجوه...﴾^١ فالماء يشبه المهل ويترك تأثيره عميقاً في وجوههم حيث يشويها.

رابعاً. حاسة السمع: تبعث الأصوات النشوة والسرور، كما تثير الشجوة والحزن؛ لذا قالوا في تأثير الصوت: « وأمر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجه عجب، فمن ذلك ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنها ما يسرّ النفوس حتى يفرط عليها السرور فتقلق حتى ترقص، وحتى ربّما رمى الرجل بنفسه من حلق.. ومن ذلك ما يزيل العقل، حتى يغشى على صاحبه كنعو هذه الأصوات الشجيّة... وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال»^٢ والسماع بأمر محبوب يزيد المرء نشوة كقول الشاعر:

ألا فأسقني خمرأً وقل لي هي
ولا تسقني سرأً إن أمكن الجهر^٣
الخمر

فالشاعر يناشد الساقى المحاهرة باسم الخمر لدى السقي، ليكمل بذلك لذته وينتشي بما سمعه أيضاً؛ وهذا يجري في كلّ ما يستعذبه الإنسان، حيث لا يملّ بترداده. تتميز عمليّة السمع بميزتين مهمّتين هما:

أ. الثنائيّة: إنّ العلاقة بين الصوت والسماع علاقة متبادلة ثنائيّة؛ فكما ينبعث الصوت ويتناهى إلى المرسل إليه (السماع)، كذلك يؤثّر السماع في المرسل (الباعث). المعيار في كل عمليّة حسية سمعية هو مدى تأثيرها في المستقبل. فللموجات الصوتية حالتان: أقوى وأضعف. والأقوى يفوق تحمل المستقبل فلا يطيقه، والأضعف، دون ذلك. وهي مؤثّرة في الحالتين. ففي الحالة الأولى يؤزّ الصوت المستقبل، فيعتبره توتراً، أمّا في الحالة الثانية فيدفع الصوت المستقبل إلى الفعل، حيث يسعى للسماع.

ب. التزامن: الصوت يؤثّر في السامعين بصورة مترامنة؛ حيث إنّ الإشارات الصوتية تصطك المسماع ففي آن واحد، ففي قوله تعالى لإبليس نجد نموذجاً للتأثير المتزامن في جموع المستقبلين له: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾^٤؛ إن الوسواس الشيطانية التي عبّر عنها القرآن بالصوت تطلّ جميع الحاضرين في موقف واحد؛ حينئذ ينقسم السامعون إلى فئتين مستجيب لها أو معرّض

١ . سورة الكهف، ٢٩.

٢ . عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج ٤، صص ١٩١ و١٩٢.

٣ . الحسن بن هانئ أبو نواس، ديوان أبي نواس، ص ٢٨.

٤ . سورة الإسراء، ٦٤.

عنها. يؤثر الصوت بصورة موحدة ومتزامنة، ففي الآية ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾^١، تتبين ميزة الصوت هذه، في وصف "صَيْحَةً" بـ "وَاحِدَةً"، واستخدام الفعل "كَانُوا" على صيغة الجمع التي تجمع بين الأطراف في التأثير، وتوظيف حرف العطف "الفاء" الذي يفيد التعقيب والترتيب، فيزيل الفاصل الزمني بين الفعل ورد الفعل. وأما بالنسبة إلى تأثير الصوت الضعيف، فينكشف ذلك من التوصية بالتحدث بصوت مسموع: ﴿... وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^٢.

خامساً. حاسة البصر: ترتبط حاسة البصر بالحواس الأخرى، كما في المثل: "ليس الخير كالمعينة" فتوسع آفاقها وتعمقها وبهذا تفوقها لقوله: ﴿...إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾^٣، فاللون يسر الناظرين. لذا نرى توظيف مشتقات الرؤية والبصر والنظر أكثر من غيرها.

كذلك تستطيع هذه الحاسة تغيير تلقّيات الإنسان وانطباعاته؛ كما ورد في القرآن بشأن المنافقين الذين يملأ ظاهرهم العيون: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسُونُ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾^٤. لا ننسى أن الحواس الخمس بما فيها حاسة البصر تتخدع بفعل عوامل خارجية مثل رؤية القلم منكسراً إذا غمر في الماء، أي إنها تسيئ تفسير الواقع أو تدركه إدراكاً خاطئاً يباين الواقع. وفي القرآن كثير من الصور التي تثبت الانخداع الحسي لدى الإنسان خاصة في الكفار والمنافقين. من ذلك قوله في الربط بين السراب وأعمال الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^٥ لا تجدي الكفار أعمالهم شيئاً فهي يوم الحساب هباء منثور كالسراب الذي يظنه الظمان ماء فإذا وصله لم يجده شيئاً.

أضواء على شواهد التراسل في القرآن

أدناه نتوقف عند أبرز نماذج التراسل في القرآن بغية استجلاء دقائقه وملاحظه الجمالية. أسفرت عملية مسح في الآيات القرآنية البالغة "٢٦٠" آية استخدمت فيها أفعال الحواس الخمس عن حضور

١ . سورة القمر، ٣١.

٢ . سورة لقمان، ١٩.

٣ . سورة البقرة، ٦٩.

٤ . سورة المنافقون، ٤.

٥ . سورة النور، ٣٩.

التراسل في أنماط خمسة تدرج ضمن مجموعتين، فالمجموعة الأولى تتكون من تعابير تراسلية أحد أطرافها اللمس، أما المجموعة الثانية فتتكون من تعابير تراسلية تتمحور حول السمع.

أولاً. اللمس والذوق: يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^١ تقوم صورة العذاب على مشهدين: الأول القرية الآمنة المطمئنة المرزوقة، والثاني القرية التي أذاقها الله لباس الجوع والخوف. فهناك صيرورة وتحوّل من الأمن والاطمئنان نحو الجوع والخوف. تقدم الصورة أدقّ تعبير عن بلوغ الجوع والخوف مبلغهما؛ حتى كأن الإنسان تسربل وتلبس لبوساً ومسه الجوع والخوف مساً فعلياً مرّاً لاذعاً لا يقتصر على الجلد؛ بل يتعمق الشعور بالجوع والخوف ويشمل المرء بكل كيانه من كل جانب مادياً ومعنوياً، قلباً وقلباً. شبه اللباس من حيث الكراهية بالطعم البشع ورُمز إليه بشئ من لوازمه وهو الإذافة على طريقة الاستعارة المكنية. كما في قوله لباس الجوع والخوف إذافة تشبيهية كلجين الماء. علّق الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ) على الآية بقوله: «وهذه استعارة؛ لأنّ حقيقة الذوق إنّما تكون في المطاعم والمشارب، لا في الكسى والملابس. وإنّما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم، والبلاء الشامل لهم. وقد عرف في لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة، أو أخذَ بجريرة: ذُقْ غِيبَ فَعَلِكِ، وَاجْنِ ثَمْرَةَ جَهْلِكِ. وإن كانت عقوبته ليست مما يحسّ بالطعم، ويدرك بالذوق. فكأنّه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسّن أن يقول تعالى: فأذاقهم ذلك، أي أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير، ووخامة الطعم الكريه»^٢.

كما أننا نواجه تعددية الصور وتداخلها. ففي قوله تعالى "قرية" مجاز علاقته المحلية إذ أطلق المحلّ وأراد الحال أي ذكر القرية وأراد أهلها ليفيد ثمول الأمن والاستقرار والرزق. فكانت الأمن والاطمئنان والرزق منتشرةً تعمّ أهل القرية، فأينما نظرت وجدتها، يدلّ على ذلك وصف القرية بـ " كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ " فاستخدام اسم الفاعل في تبيين الأمن والاطمئنان وإسناد المحجّ إلى الرزق بينما الرزق ليست له حركة و قدرة أو إرادة على التحوّل من نقطة إلى أخرى. كذلك توجد في الصورة استعارة مجردة في قوله تعالى: "فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ" والإبداع فيها أنه تعالى استعار اللباس لما يبدو على الجوع والخوف من الضرّ والبؤس، وراثثة

١ . سورة النحل، ١١٢.

٢ . أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، صص ١٩٦ و ١٩٧.

الهيئة وانتقاع اللون و ما شابه ذلك، لأنّ استخدام الإذاقة للجوع والخوف أمر مألوف لكن استعارة اللباس بالنظر إلى شمول حالة الذلّ والمسكنة لهم، أضفت على الصورة الجدة والغربة والإبداع. يقول الرضي: «وإنّما قال سبحانه: "لباس الجوع" ولم يقل: طعم الجوع والخوف، لأنّ المراد بذلك - والله أعلم - وصف تلك الحال بالشمول لهم، والاشتمال عليهم، كاشتمال الملابس على الجلود، لأنّ ما يظهر منهم عن مضيض الجوع وأليم الخوف، من سوء الأحوال، وشحوب الألوان، وضئولة الأجسام، كاللباس الشامل لهم، والظاهر عليهم»^١. وفي تعليق مماثل قال التفتازاني: «وإنّما لم يقل: "طعم الجوع...» و إنّ لآدم الإذاقة، فهو مفوّت لما يفيد لفظ اللباس من بيان أنّ الجوع والخوف، عمّ أثرهما جميعاً البدن عمومّ الملابس»^٢، ثم اقترنت هذه الاستعارة بما يلائم المستعار له، فقال: "فأذاقها"، و لم يقل: "فكساها" - حتى يكون ترشيحاً و هو أبلغ من التجريد - لأنّ الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس، و في الإذاقة إشعار بشدّة الإصابة وعمق التأليم. لما استعانت الآية باللباس في التنبيه على الجوع والخوف، واستخدمت الإذاقة إلى جانب اللباس، تكونت صورة تراسلية تتضافر فيها حاستنا لللمس والذوق لإعطاء صورة موحية تجسّد عمق الجوع والخوف وشمولهما وشدّتهما ودوامهما واستمرارهما، وذلك مفهوم من اللباس والإذاقة باعتبارهما تعبيرين حسيين. فالتراكم الحسي الملحوظ في الآية حققت الهدف المنشود. فمن جهة بينت عمق الجوع والخوف باعتبارهما أمرين باطنيين، ومن جهة أبرزت الشعور الكامن العميق بمهذين الأمرين، ومن جهة ثالثة دلّت على الملازمة؛ حيث إنّ اللباس يلازم الإنسان. هكذا فإنّ الصورة تتسم بالسعة والشمول والامتداد والإحاطة شمول الجوع والخوف وإحاطتهما وامتدادهما، كما تتسم بالعمق عمق الجوع والخوف، فالشمول يمثله اللباس والعمق تبينه الإذاقة بتعبير آخر إن الشعور الذي انقلب لباساً ظاهراً أخذ صفة العمق بالعودة إلى داخل الجسد عن طريق المذوق. لعل السرّ الفني لاستدعاء التراسل في هذه الصورة أن الله يريد التنبيه إلى وثيقة علاقة البطر والكفران بأنعمه؛ فاستخدم تعبيراً متماسكاً مترابط الأجزاء ضمن علاقة وطيدة وثيقة يحققها تراسل الخواص.

وظّف القرآن مادة الذوق في تراسل مثير في قوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^٣ الذي يصور أحد مشاهد القيامة التي تموج بمهانة المنحرفين وإذلالهم فالفعل "يسحبون"

١ . المصدر نفسه، ص ١٩٧.

٢ . سعد الدين مسعود التفتازاني، المطول في شرح تلخيص المفتاح، ص ٦٠٢.

٣ . سورة القمر، ٤٨.

يفيد الاستمرار في جرهم على الأرض، وتزداد الصورة مهانة ببناء الفعل على المجهول من جهة، ومن جهة بواسطة شبه الجملة "على وجوههم"، لأن الوجوه من الأعضاء الكريمة العزيزة، ولا يليق بها سحبها على النار. يزداد الشعور بالتحقير عندما نتذكر مواقف هؤلاء الكفار في الدنيا، فقد كانوا يمشون بمرح وخيلاء مشرئبي الأعناق. ثم تعقب هذه الصورة صورة تراسلية استعارية في قوله: "ذوقوا مسَّ سَقَرٍ"، إذ استخدم الذوق للجسد بدلاً من الفم، كأنهم يذوقون المهانة والإذلال في صورة مادة خبيثة المذاق وقال الأخفش أنه تعالى جعل المسَّ مذاقاً^١. والمسَّ فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس،... وكل ما ينال الإنسان من أذى^٢ وإذا أخذنا بنظر الاعتبار سمات حاسة اللمس والذوق أدركنا سبب الربط بين المس والذوق حيث يوحى بأنهم يجدون حرَّ النار بكل كيانهم ويتأثرون به أشد التأثر، حتى كأن كيانهم كله تحول لساناً يذوق حرَّ النار، وأي نار وهي سقر التي عرفها الله تعالى بقوله الكريم: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾^٣ أجل هي النار المحرقة التي تلوح وتذيب الإنسان وتؤلم دماغه بحرَّها^٤.

ويقول تعالى في مشهد آخر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُم بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^٥ وتكرَّر التعبير "ذوقوا عذاب الحريق" في كل من: الأنفال الآية: ٥٠، والحج، الآيتين: ٩ و ٢٢. إننا أمام صورة مرعبة تنتاب الإنسان من تمثيلها رعدة شديدة، وهي مثقلة بالوعيد الإلهي محملة بالتبكيك والترويع؛ حيث يأمرهم بأن يذوقوا عذاب الحريق. فالذوق كما هو معروف يعني اختبار الشيء من جهة تطعم^٦ والمعرفة الحاصلة عن طريق الذوق معرفة مباشرة وعميقة؛ لأن الذوق حاسة تتسم بالعمق. من جهة أخرى أضاف العذاب إلى الحريق وهو يوحى بالتغير الكامل والتأثر الشديد^٧؛ لأن مادة الحرق تحيط بها دلالات الحدة والشدة والدليل على ذلك قولهم: "حرق ناب البعير بحرق، وصرف يصرف إذا حك أحد نايبه على الآخر تهديداً و

١ . محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٨، ص ٤٧٣.

٢ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٧٦٧.

٣ . سورة المدثر، ٢٧-٢٩.

٤ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤١٤، و محمد بن محمد مرتضى

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٥٣١.

٥ . سورة آل عمران، ١٨١.

٦ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٦٤.

٧ . حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، ج ٢، ص ٢٠١.

وعيداً... ويقال: فلان يحرق عليك الأرم أي يصرف بأنيابه تغيظاً^١ ونقل صاحب اللسان أن الحراق صفة نار لا تُبقي شيئاً^٢ فالحريق نار شديدة ذات هب لا تبقى ولا تذر. واستخدم القرآن الذوق مع النار ليخبر بشدة العذاب. وفي تعابير قريبة من التعبير السابق ورد في كتاب الله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^٣ وتكرر "ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ" في سورة السجدة الآية: ٢٠.

في صورة أخرى ترتبط حاسة اللمس بالذوق: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؛ للبرد معانٍ مختلفة؛ منها النوم، إذا كان البرد. بمعنى النوم فلا ترسل في التعبير بل فيه التحسيد؛ إذ تصور الآية النوم في هيئة محسوسة يُدرَك بحاسة الذوق، ومن معانيها الهواء البارد^٤. خالف المصطفوي قاطبة اللغويين الذين فسروا البرد بمعنى النوم قائلًا: « والتحقق أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو البرودة بخلاف الحرارة، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، فالبرودة في الماء أن يبرد إلى أن يصل حد الانجماد فيقال له البرد. والبرودة في الحيوان أن تضعف حرارته البدنية إلى أن تصل حد السكون وتوقف النبض ويحصل الموت. والبرودة في النسب أن تصل إلى حد تخرج عن التردد والاضطراب وتثبت النسبة إلى الموضوع كقولهم برد عليه دين. وفي الموضوعات أن تصل إلى حد اللزوم والثبوت كقولهم برد الشيء أي دام وتثبت. والبردي: نبات كالقصب ينبت في الأراضي المرطوبة وطبيعتها باردة. والبريد: هو

١ . محمد بن حسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، ج ١، ص ٥١٨.

٢ . محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ج ١٠، ص ٤٣.

٣ . سورة سبأ، ٤٢.

٤ . سورة النبأ، ٢٤.

٥ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، **ترتيب كتاب العين**، ج ١، ص ١٥٠، ومحمد بن حسن بن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، ج ١، ص ٢٩٤، وأحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ١، ص ٢٣٤، وأبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص ١١٧، وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، **المخصص**، ج ٩، ص ٣٢١، ومحمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ج ٣، ص ٨٥، ومحمد بن محمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج ٤، ص ٣٤٧، وعلى خان بن أحمد المدني، **الطراز الأول و الكناز لما عليه من لغة العرب المعول**، ج ٥، ص ٣٢١.

٦ . على خان بن أحمد المدني، **الطراز الاول و الكناز لما عليه من لغة العرب المعول**، ج ٥، ص ٣٢١، وحسن المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن**، ج ١، ص ٢٤٧.

الرسول الذي يبلغ عن الغير ولا يظهر حرارة وليست له مسؤوليّة في قوله، ولا يعاقب، فهو في كمال الثبوت والبرودة. وأمّا البرد: فلعله ينسج من البرديّ أو من نظائره. فالبرودة في جميع هذه الموارد محفوظة، وليس مطلق هذه المعاني مقصوداً بل من هذه الحيثية ﴿لَا يَبْنِيَنَّ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ لا يذوقون في جهنم برودة يروّحهم وينفّس عنهم حرارتها، فهو في قبال الحميم، كما أنّ هذه الكلمة قد ذكرت في قبال النار في ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾^١ فعلى هذا إنّ التعبير مسكون بالتراسل والاستعارة؛ إذ الهواء البارد ليس من المذوقات. فعندما نربط بين الذوق والهواء ونقول: ذاق فلان الهواء البارد، ونستعيره للذوق الهواء الملموس. يبدو أنّ سبب استخدام التراسل في الآية من جهة تعميق أثر العذاب عبر توظيف حاسة الذوق، ومن جهة أخرى شمول ألم العذاب؛ لأنّ حاسة اللمس تتميز بسعة الانتشار. وتفيد الصورة بأن العطش بلغ من أهل النار مبلغه، حيث يريدون الاستيعاض عن الشراب البارد بالهواء البارد علّه يسكن غلّتهم لكن دون جدوى حيث لا يجدون ماء بارداً؛ فحسب بل إنهم لا يجدون هواء بارداً.

تضافرت حاستا الذوق واللمس في هذه الصورة: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^٢ نرى تلاحقاً بين التراسل والاستعارة حيث استعمل الصبّ المختص بالماء للوسط. إن انصباب الماء يوحي بمعاني السرعة والشدة. ثمّ إنّ "الصبّ" مرتبط بحاسة الذوق؛ لأنه يستخدم في السوائل من ماء ودم وغيرهما، لقوله عزّ من قائل: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾^٣ والصبّ إراقة الشئ من أعلى^٤ وميّز أبوهلال العسكري بين "الصبّ" و"السكب" بأنّ السكب هو الصبّ المتتابع، واستشهد بقوله تعالى: "وماء مسكوب" لأنه دائم لا ينقطع، أما الصبّ يكون دفعة واحدة، ولهذا يقال: صبّه في قالب، ولا يقال سكبه، لأن ما يصبّ في القالب يصبّ دفعة واحدة^٥. صحيح أنّ الصبّ يتم دفعة واحدة إلا أنّه لا يتم في طرفة عين؛ بل يستغرق زمناً، بتعبير آخر لا يقتضي كون الصبّ أمراً دفعياً أنّ يكون آنياً يتحقق في طرفة عين. لذا يبدو أنّ الصبّ يقتضي الدوام واستغراق زمن، وإلى ذلك ذهب السيد علي خان بن أحمد المدني

١. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، ج ١، ص ٢٤٧.

٢. سورة الفجر، ١٣.

٣. سورة عبس، ٢٥.

٤. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٢٨٠، وأبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٧٣.

٥. أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق في اللغة، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(ت ١١٢٠هـ) في تعليقه على الآية: « أنزله [العذاب] عليهم إنزالاً شديداً متتابعاً مستمراً كالماء المصبوب في اتصال أجزائه حال إراقته»^١ واختلف القوم في تفسير "السوط"؛ فمنهم من فسّره بالنصيب^٢ وفسّره ثان بالجلد المضفور الذي يضرب به^٣ ولم يختلف اثنان على أن السوط يفيد الخلط أي تداخل الأجزاء، وهذا ما يفيد شدة العذاب الذي يدخل في جوارحهم. إن الربط بين الفعل "صب" و"سوط عذاب" يعقد الصلة بين الذوق واللمس، ليعمق ألم العذاب الذي نزل عليهم. حسبنا النظر إلى طبيعة السوط فالسوط يُضْرَبُ لا يُصَبُّ لكن استخدام الصبّ مع السوط ينم عن شدة العذاب واستمراره على وتيرة واحدة. هذا الترابط بين الذوق واللمس يوحي بشمولية العذاب جهة لارتباطه باللمس الشامل لكامل الجسم، ومن جهة أخرى يوحي بعمق الألم الناجم عن العذاب حيث ربطه بالذوق الذي يمهد الطريق لترك العذاب تأثيراته في أعماق المعدّين. بعبارة أخرى يمتد العذاب من أعماق كيان القوم المنحرفين إلى ظاهر أبدانهم. كذلك يزيد من الإحساس بشدة العذاب وعمقه واستمراره استخدام الفعل "صب" بسماته الإبقاعية؛ حيث إن اجتماع الصاد مع الباء المضعفة يوحي بقوة هائلة؛ نتيجة كون الصاد من حروف الصفير والإطباق والتفخيم وهي من أقواها في الاستعلاء، ويعلو الصوت عند النطق بها. من جهة ثانية تنضمّ الباء إلى الصاد لتجسّدا شدة معاني "صب" لألها من الحروف الشديدة (أجدت كقطب).

ثانياً. اللمس والسمع: يلتقي اللمس بالسمع في قوله: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ * فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^٤ لأنّ القول مسموع، واللين ملموس، وقد وصف الله القول باللين ليبين شدة تأثير القول إذا لاءم حال المخاطب. وفي الآيتين أوصى الله موسى وأخاه هارون، بالتزام اللين والابتعاد عن المحاشنة لدى الدعوة. كما يبدو من ظاهر اللفظ، فالقول اللين من شأنه أن يترك تأثيراً في فرعون ويسبب فيه حركة تُخرجه من الكفر إلى الإيمان. يقول أحد الباحثين: « القول حسيّ ما دام يتصل بالصوت وأعضاء النطق، أما اللين فيجلى القول قطعة ملساء ترقّ على الجسم و تطيب المشاعر، كل هذا في مجاهمة العنفوان الشديد والخشونة»^٥. وهكذا أنشد الأعشى خالغاً حاسة اللمس "اللين"

^١ . على خان بن أحمد المدني، الطراز الاول و الكناز لما عليه من لغة العرب المعول، ج٢، ص١٩٣.

^٢ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١١٥.

^٣ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٤٣٤.

^٤ . سورة طه، ٤٣-٤٤.

^٥ . أحمد ياسوف، دراسات فنية في القرآن الكريم، ص١٣٦.

على السمع "الحديث"، للتأثير في الفتاة يسلس له القيادة:

صَنَّ بَلِينِ حَدِيثِهَا فَدَنَّتْ عُرَى أَسْبَابِهَا^١

يتحدث الأعشى عن رجل رقيق بالنساء خبير بلين حديثهن حتى أسلست المرأة له القيادة. فلين الحديث الذي راعاه الرجل في محادثتها أثر فيها. وجمع القرآن بين القول والحدة في وصف المنافقين عند مواجهة المؤمنين: ﴿...فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ...﴾^٢ إذ وصف أقوالهم للمؤمنين بالسلق بألسنة حداد. السلق يعني أن تسمع الآخرين كلاماً مكروهاً، فسر ابن عباس^٣ "سلقوكم...". بالطعن باللسان لقول الأعشى:

فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاخَةُ وَالنَّجْدُ سَدَةٌ فِيهِمُ وَالْخَاطِبُ الْمَسْلَاقُ^٤

فالمسلاق وقد روي بالصاد (المصلاق) هو الخطيب البليغ. واستخدم "السلق" أيضاً الماء الساخن نحو: سلقت الشيء بالماء الحار: هو أن يذهب الوبر والشعر ويبقى أثره^٥ ومنه أيضاً قولهم: سلقت البقل والبيض إذا أغلبته بالنار إغلاءة خفيفة أوفسّر الراغب مادة السلق بالـ "بسط بقهر إما باليد أو باللسان"^٦ مهما يكن من أمر فإن مادة السلق تلتقي في دلالاته بحاسة اللمس ويترك تأثيراته على الجلد كما نجد ذلك في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي. وعبر الله عن لوم المنافقين وخصامهم للمؤمنين بـ "ألسنة حداد" تلك الأقوال الغليظة الجارحة التي تبلغ درجة تتعدى السمع إلى الجلد. هذه استعارة مكنية شبه فيها اللسان بالسيف المصلت، وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو السلق، بمعنى الضرب و"حداد" يعدّ ترشيحاً يقوي حدّة كلامهم. والطريف في الأمر أنّ هؤلاء المنافقين المعوقين عن الحرب حسب القرآن الذين يخافون الموت والشهادة في سبيل الله تعالى ولا يجراؤون على شهر سيوفهم في وجوه الأعداء يسألون ألسنتهم بكل صلافة على المؤمنين يؤذونهم ويلومونهم؛ الأمر الذي يكشف عن المفارقة بين سلوكياتهم.

١ . ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ٢٥٣.

٢ . سورة الأحزاب، ١٩.

٣ . عبد الله بن عباس، مسائل ابن الأزرق، ص ٤٠٩.

٤ . ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ٢١٥.

٥ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ٨٤٤.

٦ . إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج ٤، ص ١٤٩٧.

٧ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٢٠.

وتلتقي حاستا اللمس والسمع لتبدعا صورة تراسلية فريدة في قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾* إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مَبِينٌ^١ والتراسل بينهما ملحوظ في مادة "سرق" الدالة على أخذ شيء في خفاء وستر، واسترق السمع إذا تسمع محتفياً^٢. فالمادة توحى بالتكلف والصعوبة في تحقيق السرقة. ويستخدم التعبير أيضاً للنظر، فيقال: يسترق أو يسارق النظر. ذكر الراغب أن السرقة هي أخذ ما ليس له أخذه في خفاء، ويقول إن الدين الحنيف حصر دلالتها في الأخذ من موضع مخصوص وقدر مخصوص^٣ وبما أن الأخذ يتم عادةً بواسطة اليد فحينئذ يتحقق الاستراق باليد، فإذا صاحب الاستراق السمع والنظر واجهنا تعبيراً تراسلياً، يقوم على حاستي اللمس والسمع أو البصر؛ الأمر الذي يفيد تكلف السمع والبصر وصعوبتهما. وهذا التعبير جاء في سياق الحديث عن السماء وحفظها من كل شيطان رجيم بحيث إن الله تعالى منعهم من الوقوف على أسرارها وأخبارها. هذه الاستعارة التصريحية التبعية تجسد المعنى بعبارة وافية للغاية، إذ تشبه اختطافهم الكلام المسموع بأخذ المال، فاستعارت له الاستراق بمعنى الاختطاف، ثم اشتق منه استرق بمعنى اختطف. في مشهد آخر يصف القرآن ثقل الوحي: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^٤ والمعروف أن الإلقاء يتم باليد كقولهم: "ألقي عصاه على الأرض" كناية عن الإقامة في منزل، فلذلك يعد الإلقاء مرتبطاً باللمس، وفي الطرف الثاني يقع القول وهو من المسموعات. إذن نحن إزاء تراسل قائم على اللمس والسمع. ولعل سرّ توظيفه هنا أنه أقوى على التعبير عن عظمة الوحي، وثقله؛ إذ يوحي بأن ثقل الوحي أكبر من أن يصفه اللسان أو يطيقه، فيستعين اللسان باليد في الوحي. في مادة الإلقاء تعبير قريب جاء فيه: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^٥ تربط الصورة بين الإلقاء والسمع، لتفيد الدقة في السمع، والإنصات له والإصغاء إلى كتاب الله وهو أن يستمع المرء بسمعه وقلبه إلى الآيات الإلهية. هذا التعبير يخيل إلى الناظر أنه يلقي سمعه كما يلقي شيئاً بيده وكأنه يخلو من السمع حتى لا يقدر أن يسمع غير القرآن. يقول الرضي: بالغ في الإصغاء إلى الذكرى، وأشهدها قلبه، فكان كالملقي إليها سمعه، دنواً من سمعها، وميلاً إلى

١ . سورة الحجر، ١٧-١٨.

٢ . أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج، ٣، ص ١٥٤.

٣ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٠٨.

٤ . سورة المزمل، ٥.

٥ . سورة ق، ٣٧.

قائلها^١.

ثالثاً. اللمس والبصر: أسلفنا أنّ حاسة اللمس تتسم بالانتشار الواسع على الجسم، كما تتميز حاسة البصر بتوسيع الأفق للحواس الأخرى وربما لهذه الخصائص استدعى القرآن هاتين الحاستين في وصف أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^٢. فسّر اللغويون الزمهرير في الآية بمعني القمر على لغة طيبي^٣ بدلالة قول قائل مجهول:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَّرَ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ

على هذا الأساس تخلو الآية من التراسل؛ لكن بعضهم فسروا الزمهرير بالبرد وشدته وغايته، فمنه قوهم: يوم زمهرير أي شديد البرد^٤ فوجد التراسل بين الرؤية البصرية، والبرد الملموس؛ لأنه يخز الإنسان وخزة ويؤثر في جلده بدايةً. إذن تعني الآية أنّ أهل الجنة لا يرون حرّاً ولا قرّاً. واستخدام الرؤية بدلاً من الشعور يفيد انتفاء البرد الشديد انتفاء تاماً.

رابعاً. اللمس والشم: إنّ اللمس والشمّ بما لهما من السمات والتأثيرات على المعنى يتضافران في هذه الصورة: ﴿وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^٥ إنّنا أمام صورة استعارية موحية حافلة بالمؤثرات البصرية. تبين الصورة مدى ضعف الإنسان الذي يتعالى ويستكبر. استخدم الله "مس" لإفادة الإصابة في أدنى حدودها وأقلها^٦ والنفحة مسكونة بمعاني القلة والترارة ويساعد على إفادة القلة بناء النفحة على المرّة، والنفحة هي الطيب؛ يقال: أصابتنا نفحة من الصبا أي روحة وطيب لا غمّ فيها^٧ والتراسل بادٍ في الآية إذ المسّ من الملموسات والنفحة على ما فسّرناها تعود للمشمومات. تفيد الصورة أمرين: شدة العذاب ومدى ضعف النحرطين بحيث يجزعون لأدنى ما ينالهم

١ . أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، ص ٣١٢.

٢ . سورة الإنسان، ١٣.

٣ . محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٤٧٤.

٤ . علي بن عثمان بن مصطفى المارديني، بمحة الأريب في بيان ما في كتاب الله من الغريب، ص ٢٥٣.

٥ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ٧٦٥، ومحمد بن حسن بن دريد الأزدي، جهرة اللغة،

ج ٢، ص ١٢١٩، ومحمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٠٣، ومحمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج

العروس من جواهر القاموس، ج ٦، ص ٤٧٣.

٦ . سورة الأنبياء، ٤٦.

٧ . علي خان بن أحمد المدين، الطراز الاول و الكنز لما عليه من لغة العرب المعول، ج ٥، ص ٧٨.

٨ . محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٦٢٣.

من العذاب. يقول الرضي مبيناً دقائق هذه الصورة: «كأنّ النفحة هاهنا قدر يسير يدلّ واقعه على عظيم متوقّعه، وشاهده على فطيع غائبه»^١.

خامساً. البصر والسمع: كثيراً ما جمع الشعراء بينهما في تصوير مشاهد مثيرة كما قال المتنبي:

فكأنّما يُصِرْنَ بِالْآذَانِ^٢ فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعَيُونَ غُبَارُهُ

أراد الشاعر وصف هذا الجيش بأنه عرمرم يثير النقيع حتى تكلّ العيون عن الإبصار حينئذ يبصر الجنود بأذاهم وبهذا أحلّ الآذان محلّ العيون. تعود إبداعية هذه الصورة إلى تضافر حاستي البصر والسمع. وإذا أجلنا النظر في الآيات القرآنية لا نكاد نجد آية تفرد السمع أو البصر بالذكر ولا نبعد إذا قلنا بأنهما من الخواس المتصاحبة، كما في قصة يوسف: ﴿وَجَاوُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾^٣ التركيب الوصفي "دم كذب" الدم من المرئيات، والكذب من المسموعات لقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَاباً﴾^٤ نقل الخليل: "الكذّابة" وهي ثوب يصبغ بألوان الصبغ كأنه موشي، أي إنّ الصبغ المستفاد في القماش ينبيء بأنه مزيف^٥. يقول الراغب بشأن الكذب أنه يطلق على المقال والفعال^٦ وفي موطن آخر يحصر أصل الكذب والصدق في القول^٧. بهذا يتبين أن الكذب من القول؛ إذن الكذب يندرج تحت المسموعات، والدم تحت المرئيات. هذا التراسل يجسّد الكذب وكأنه يجهر بكيد إخوة يوسف ويصيح بأنهم كاذبون في ادعائهم. وفسره الزجاج بـ "ذي كذب"^٨ مما يعني أن الدم فاعل في تكذيب إخوة يوسف، مما يوافق ما ذهبنا إليه في تعليقنا.

النتيجة:

وتبين من خلال الشواهد القرآنية أن التراسل يتميز بالإيجاز وتكثيف الدلالة وتجسيد الشدة والعمق والشمولية، وإضفاء الطرافة والجدّة والإبداع. غالبية التعبيرات التراسلية في القرآن قائمة على حاسة

^١ . أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، صص ٢٣٠ و٢٣١.

^٢ . عبدالرحمن الرفوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ٤، ص ٣١٠.

^٣ . سورة يوسف، ١٨.

^٤ . سورة النبأ، ٣٥.

^٥ . الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٣، ص ١٥٦٢.

^٦ . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٧٠٤.

^٧ . المصدر نفسه، ص ٤٧٨.

^٨ . محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٧٠٧.

اللمس، تشاركها الحواس الأخرى في التعبير الحسي. تفيد هذه الشواهد أن القرآن الكريم وظّف التراسل للتعبير عن سلوكيات الكفار والمنافقين، ووصف مشاهد النعيم والعذاب في الدنيا والآخرة. والقرآن يجسّد عبر التراسل المفاهيم المجردة كالعداوة الخوف والكذب، وفيما يخصّ الأمور والمواقف الحسية مثل الكلام والعُدْر والسمع... فإنه يستعين القرآن بالتراسل على تعميق التأثير وشدة الوضوح. ونجد التوافق التام بين الحواس المستدعاة والمواقف على سبيل المثال استخدم القرآن التراسل لتصوير عداوة المنافقين والكفّار عبر حاسّي السمع والبصر، والسبب يعود إلى أنّه تُستشعر العداوة في أقوال المتعادين أو تصرفاتهما المرئية.

حينما تتلاقى الحواس بعضها ببعض، تضيف على الصورة الجدة والإبداع، وتوحي بمعاني القوة والشدة والسرعة وتعظيم الأمر، وتحويل المشهد، الأمر الذي يجعل المتلقّي يتفاعل مع الصورة التراسلية في القرآن الكريم. ففي معرض وصف مشاهد العذاب والجنة وظّف القرآن اللمس والذوق ليصوّر حجم المعاناة والاستمتاع في كلّ من الموقفين. من جهة أخرى يوحي التراسل القائم بين اللمس والسمع القوة والشدة والعظمة. وعلى صعيد آخر يرى القارئ تراوفاً بين اللمس والشمّ يلقي في روعه سرعة انفعال القارئ وعمقه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ١- ابن أحمد الرفاء، السريّ، المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب، (د. ط)، تح: مصباح غلاونجي، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٦م.
- ٢- ابن داود الأصبهاني، أبوبكر محمد، الزهرة، (ط ٢)، تح: إبراهيم السامرائي ونوري حمود القيسي، الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ.
- ٣- ابن دريد الأزدي، محمد بن حسن، جبهة اللغة، (ط ١)، تح: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، د.ت.
- ٤- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- ٥- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله، الشفاء، (ط ١)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- ٦- ابن عباس، عبدالله، مسائل ابن الأزرق، (ط ٢)، تح: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.
- ٧- ابن عثمان المارديني، علي، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله من الغريب، (د. ط)، تح: ضاحي عبدالباقي، الكويت: دار ابن قتيبة، د.ت.

- ٨- ابن فارس، أحمد. **معجم المقاييس اللغة**. (ط١)، تح: عبد السلام محمد هارون، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- ٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (ط٣)، تح: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- ١٠- أبوأصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، (ط١)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م.
- ١١- أبو نواس، الحسن بن هانئ، **ديوان أبي نواس**، (د.ط)، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت: دارالكتاب العربي، ١٩٨٤م.
- ١٢- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلق الوفاء، (د.ط)، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- ١٣- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ١٤- الأعمش، ميمون بن قيس بن جندل، **ديوان الأعمش الكبير**، (ط٢)، تح: محمد محمد حسين، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٩م.
- ١٥- البرقوقي، عبدالرحمن. **شرح ديوان المتنبي**. (ط٤)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.
- ١٦- البغدادي، عبداللطيف، **مقالتان في الحواس**، (د.ط)، تح: بول غليونجي، سعيد عبده، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٢م.
- ١٧- التفازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، **المطول في شرح تلخيص المفتاح**، (ط١)، تص: أحمد عزو عناية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.
- ١٨- التيفاشي، أحمد بن يوسف، **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، (ط١)، تح: إحسان عباس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.
- ١٩- الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، (ط٢)، تح: محمد عبد السلام هارون، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٥م.
- ٢٠- حقي، بديع، **بودلير وأزهار الشر**، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٧٩، ١٩٩٤م، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- ٢١- الخفاجي، شهاب الدين محمود، **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، (د.ط)، القاهرة: حارة الفراحة: المطبعة العثمانية، ١٣٠٦هـ.
- ٢٢- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، (ط١)، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق/ بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.
- ٢٣- الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ط١)، تح: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.

- ٢٤- سيدي، سيد حسين، مؤلفه های تصوير هنري در قرآن، مجموعه مقالات قرآن، ادب و هنر، دانشگاه اصفهان، ١٣٨٥
- ٢٥- السيوفي، ميساء (٢٠١٤/١/٢م). تراسل الحواس Correspondence
www.arab-ency.com. موقع الموسوعة العربية: Correspondence
- ٢٦- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، تلخيص البيان عن مجازات القرآن، (ط١)، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٧هـ.
- ٢٧- الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك، الغيث المسجّم في شرح لامية العجم، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العربيّة، ١٩٩٠م.
- ٢٨- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق في اللغة، (ط١)، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د ت.
- ٢٩- غنيمي هلال، محمد، النقد الأدبي الحديث، (ط٢)، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٧م.
- ٣٠- فتوح أحمد، محمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، (ط٢)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م.
- ٣١- الفراهيدي؛ الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، (ط١)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيّب. طهران: انتشارات أسوه، ١٤١٤هـ.
- ٣٢- مدني، علي خان بن أحمد، الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، (ط١)، مشهد: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٣٨٤ش.
- ٣٣- مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (ط٥)، تركيا: دار الدعوة، (١٩٨٩م).
- ٣٤- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، (ط٣)، بيروت/ القاهرة/ لندن: دار الكتب العلمية ومركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ١٣٦٨ش.
- ٣٥- معتمدي، غلامحسين، وحدت حواس و آفرينش شعر(١)،
www.doctormotamedi.com/fa/newsdetail/10336/، ٢٠١٢م
- ٣٦- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (ط٢)، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- ٣٧- ياسوف، أحمد، دراسات فنية في القرآن الكريم، (ط١)، دمشق: دار المكتبي، ٢٠٠٦م.

الإنجليزية:

38- Aristotle, *The Complete Works of Aristotle*, (6p) ed by Jonathan Barnes, Princeton University Press The Revised Oxford Translation, 1995.

حسامیزی در قرآن کریم؛ کارکردها و زیبایی ها^۱

حمید عباس زاده^۲ - دکتر محمد خاقانی اصفهانی^۳

چکیده:

از آغاز پژوهش ها با محوریت گفتمان قرآن، تصویر هنری توجه پژوهشگران را به خود معطوف نمود. هر اندازه پژوهش در گستره این گفتمان پیش رفت، پرتو دلربای زیبایی قرآن به آنان رخ نمود، و خیل مخاطبان را در حالی از سرمستی بی پایان گذاشت که هنوز از سر نرفته، مستی دیگری به آنان را در ربود و جلوه هایی از رخساره تابناک قرآن بر آنان پدیدار گشت. حسامیزی یکی از شگردهای مؤثر تصویر گری است؛ زیرا چند حس در ارائه پیام در قالب یک تصویر الهام بخش، همکاری می کنند.

این مقاله به روش توصیفی - تحلیلی، گونه های حسامیزی برگرفته از ۲۶۰ آیه قرآنی دارای افعال حسی را پس از ارائه تعریف، بررسی پیشینه آن در میراث ادبی تحلیل نموده است. همچنین تحقیق پیش رو، خصوصیات و نقش حواس پنجگانه را در فرآیند شناخت معرفی نموده، به زیباشناسی حسامیزی در شواهد قرآنی پایان یافته است. ثمره این پژوهش آن است که قرآن به انگیزه بیان بی کم و کاست معنا حسامیزی را به کار بسته، بدین سان که میان حواس سهیم در تصویر، هماهنگی همه جانبه وجود دارد، مثلاً قرآن دو حس لامسه و چشایی را در صحنه های عذاب به کار بسته تا اندازه رنج و درد را نمایان سازد. تصویر حسامیخته زیبایی هایی دارد که مهم ترین آنها عبارتند از: غرابت، تازگی و تعدد لایه های معناشناختی، و عمق بخشیدن به تأثیر.

کلید واژه ها: قرآن، حسامیزی، حواس پنجگانه، زیبایی.

^۱. این مقاله برگرفته از پایان نامه دکترا با عنوان "زیبایی شناختی آشنائی زدائی بیانی در قرآن کریم" است که هنوز دفاع نشده است.

^۲. دانشجوی دکترای زبان و ادبیات عربی دانشکده زبان های خارجی دانشگاه اصفهان.

HamidAbbaszadeh@hotmail.com.

^۳. استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان (نویسنده مسؤول).

mohammadkhaqani@yahoo.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۳/۰۲/۱۴ ه.ش = ۲۰۱۴/۰۵/۰۴ م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۴/۰۹/۰۹ ه.ش = ۲۰۱۵/۱۱/۳۰ م

Synesthesia in the Holy Quran: Functions and Aesthetics

Hamid Abbas Zade*, Mohammad Khaghani-Esfahani**

Abstract

Since the first studies in the field of the Quranic discourse, the artistic imagery has attracted the attention of the researchers. As more progress was made in research about the language and discourse of the Quran, the beauty and brilliance of the Quran increasingly fascinated the researchers. The audience were drowned in the intoxication of one source of beauty when another source of beauty was discovered to intoxicate the more. Synesthesia is an effective technique in imagery in which a desired effect is engendered with the involvement of more than one sense. This article uses descriptive-analytical method to explore synesthesia in 260 Quranic verses, which include action verbs, after defining them and reviewing their use in previous texts. This research elaborates on the role of the five senses on cognition and the creation of knowledge. It intends to shed light on the aesthetics of the Holy Qur'an. The Quran has use synesthesia to the full effect as there is complete coordination among the senses involved in the images produced. For example, it has mixed tactile sense and the sense of taste to show the extent of the sufferings. Synesthetic images enjoy positive sides which include novelty, wit, polysemy, and depth of impact.

Keywords: the Holy Quran, Synesthesia, the Five Senses, Aesthetics

* - Ph.D. Student of Arabic Language and Literature, Esfahan University, Iran

**-. Professor in Arabic Language and Literature, Esfahan University, Iran.